

لوط عليهِ السَّلَامُ

obeikandi.com

لوط عليه السلام

هو عليه السلام لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام.

وهو أول من صدّق بإبراهيم لما جعلت النار عليه برداً وسلاماً، وهاجر معه إلى بلاد الشام.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ولوط عليه السلام من أنبياء الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم ليخرجوهم من ظلمات الفاحشة إلى نور الأخلاق الفاضلة.

فساد قوم لوط:

كان أهل مدينة سدوم بالأردن من أفجر الناس وأكفرهم، وكانوا ذوي أخلاق فاسدة ونوايا سيئة، لا يتعففون عن معصية ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانوا يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله، وذلك أنهم كانوا يأتون الذُكران من العالمين شهوة من دون النساء، يستعلنون بذلك ولا يتسترون.

قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله تعالى قصَّ علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً.

لوط عليه السلام يدعو قومه:

دعا لوط عليه السلام قومه إلى الإيمان، وخوفهم عذاب الله وحشهم على ترك ما هم عليه من المعاصي والمنكرات، فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْوَارِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الشعراء: ١٦٦-١٦٧].

ولكن قومه لم يستجيبوا لدعاء نبيهم لوط عليه السلام، بل هددوه قائلين: ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧].
ومرّت السنون ولوط عليه السلام يدعوهم إلى الهداية، وتأبى قلوبهم ذلك.

وكان لوط عليه السلام يقول لهم بأنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم، فما كان يزيدهم ذلك إلا كفوراً وفجوراً وفحشاً^(١).

خيانة امرأة لوط عليه السلام:

كانت امرأة لوط تعرف أن قومها قد غمرهم الكفر والفساد، مع ذلك كانت عوناً وعيناً لهم على زوجها، فكانت تفشي سره وتعاديه في دينه، وكانت تدل قومه على أضيافه بطريقة لثيمة، وذلك كان إذا نزل الضيف عنده بالليل، أوقدت النار إذا لم تستطع إخبارهم، وأما إذا نزل الضيف بالنهار ولم تستطع الخروج لتخبرهم بالضيف دخنت ليعلم

(١) «مروج الذهب»، المسعودي. (بتصرف).

قومه أنه نزل به ضيف إذا رأوا الدخان، فيأتون إلى بيت لوط عليه السلام ليسخروا ويهزءوا بضيفه^(١).

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

إبراهيم عليه السلام يجادل في قوم لوط:

كان الملائكة الكرام وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، قد جاءوا إبراهيم عليه السلام، وبشروه بإسحاق، ثم أخبروه أنهم جاءوا ليهلكوا أهل قرية سدوم الذين ظلموا أنفسهم، فقالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١].

ولكن إبراهيم عليه السلام أخذ يجادل في قوم لوط، فقد كان يرجو أن ينيبوا إلى ربهم ويسلموا له.

قالت الملائكة لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

قال إبراهيم: أرايتم إن كان فيها خمسون من المسلمين؟

قالوا: وإن كان فيهم خمسون لن نعذبهم.

فقال إبراهيم: وإن كان فيهم أربعون؟

قالوا: وأربعون.

قال إبراهيم: وإذا كان فيهم ثلاثون؟!

(١) التفسير الكبير، الرازي، وتفسير ابن كثير، ابن كثير. (بتصرف).

قالوا: وإن كان فيهم ثلاثون فلن نعذبهم.
 فقال إبراهيم عليه السلام: وإذا وجد فيهم عشرون مسلماً؟!
 فقالت الملائكة: وعشرون يا إبراهيم، لن نعذبهم.
 قال: وعشرة من المسلمين؟
 قالوا: وإن كانوا عشرة لن يهلكوا.
 هنا قال إبراهيم عليه السلام: ما من قوم لا يكون فيهم عشرة من المسلمين ليس فيهم خير.
 وراح رسل الله يؤكدون لخليل الرحمن أن قوم لوط ليس فيهم عشرة من المؤمنين.
 جاء الأمر الإلهي يرد على مجادلة إبراهيم عليه السلام قائلاً:
 ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾
 [هود: ٧٦].

الملائكة في ضيافة لوط عليه السلام:

تركت الملائكة إبراهيم عليه السلام، وهم قاصدون قوم لوط بأرض سدوم، وأقبلوا في صورة شبانٍ حسان، ولما بلغوا قرية لوط، خشي لوط عليه السلام إن لم يضيفهم أن يضيفهم غيره، وحسبهم بشراً من الناس، وخاف من عاقبة الأمر، فهو يعرف فسق قومه، أخذ لوط عليه السلام ضيوفه وكان يمشي معهم وهو خائف يتربص فسأله ضيوفه عما يريه.

أجاب: أشهد أن أهل هذه القرية شرّ قرية في الأرض عملاً، أشهد أنهم أهل سوء وفسادٍ وخبث.

وصل لوط عليه السلام وضيوفه إلى بيته، ولم يكن هناك في القرية من يعلم بقدوم هؤلاء غير لوط وامراته وابنتيه، وكان اسمهما: (ريثا ورغوثة).

رأت امرأة لوط هؤلاء الضيوف، فجئن جُنُونَهَا، ماذا تفعل لتخبر قومها؟!

أشعلت امرأة لوط ناراً ليعلم أهل القرية بخبر الضيوف، ثم تسللت إلى قومها في ناديم.

فقالت لهم: إني رأيت رجالاً لم أر أحسن منهم وجوهاً، وهم عند لوط الآن.

ثم انتقلت إلى آخرين، وقالت لهم: إن لوطاً قد أضاف الليلة فتية ما رؤي مثلهم جمالاً، ولا أطيب رائحة، فأسرعوا قبل أن يرتحلوا.

جاء قومه يهرعون إليه يركبهم شيطان الفجور، فعرف لوط عليه السلام ما يريد هؤلاء الفجار.

وقف القوم على باب لوط فقالوا: يا لوط أولم ننهك عن استقبال الضيوف؟! ألا تعلم ما نريد؟!

فقال لهم لوط: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ﴾ [هود: ٧٨].

فأجابوه قائلين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

هنا أراد قوم لوط أن يقتحموا البيت ويدخلوا لضيوفه، ولوط عليه السلام يمانع قومه الدخول إلى بيته.

وفي تلك اللحظة أفهمت الملائكة لوط عليه السلام أنهم رُسل الله،

فقالوا له: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنَاصِلُوكَ آلِيكَ﴾ [هود: ٨١].

حينئذ هدأت نفس لوط عليه السلام واطمأن على ضيوفه ^(١).

هلاك قوم لوط عليه السلام:

جاءت الأوامر الإلهية من الله عز وجل بأن يسري لوط بأهله في آخر الليل، وذكرته الملائكة بامرأته الكافرة الظالمة بأنه سيصيبها ما أصاب قومها، فلا تسر بها. لقد أسرفت وتجاوزت فحق عليها القول.

قال تعالى للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْهُفْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

سار لوط عليه السلام وابتناء في السحر، وما أن ابتعد عن القرية قليلاً أرسل الله عز وجل جنوده لينفذوا المهمة التي أوكلت إليهم.

هنا نشر جبريل عليه السلام جناحه فانتسف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وشجرها وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل ^(٢).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

(٢) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها، ولا بما حولها من الأرض، لرداءتها وهي التي تعرف الآن بالبحر الميت أو بحيرة لوط، وهي أخفض منطقة على سطح الأرض.

وفاة لوط عليه السلام :

مكث لوط عليه السلام في مدينة الخليل عند عمه إبراهيم عليه السلام، وتوفي عليه السلام فيها، ودفن في قرية تسمى (كفر البريك) بجوار مسجد الخليل عليه السلام.

